اللغة العربية مرآة ينعكس عليها تخلف العرب ينبغي ان لا يكتفى بها وحدها

الدكتور محمد فاضل الجمالي ــ الجامعة التونسية
(رئيس الحكومة العراقية سابقا)

1 ــ ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي مشاكل التخلف في الحياة على اختلاف مناحيها . فما دامت مشاكل التخلف قائمة فللغة نصيبها من هذا التخلف . اذ ما اللغة سوى مرآة تنعكس فيها حياة الامة بكاملها ما ظهر منها وما بطن .

ففي النواحي النفسية يظهر تخلف الامة في الفردية المفرطة وقلة الارتباط والاتصال بين المفكرين والباحثين . وفي الشعور بالضعة امام الاساتذة الاجانب والاتكال عليهم والاعتزاز بتقليدهم والتفاخر باستعمال لغتهم مع شيء من التهاون وعدم الاكتراث بلغتنا العربية . يقابل **الشعور بالضعة هذا عند البعض شعور بالغرور والازدراء باللغة الاجنبية** ومن يستعملها عند البعض الآخر ممن يعتقدون بأن ما ورثناه من تراث ثقافي يغني عن كل ما جاء به الغرب من اباطيل . اذن فلتجمد لغتنا ولننكمش على انفسنا .

وفي النواحي السياسية يظهر التخلف في كون العرب مشغولين بقتل بعضهم بعضا . ولا يزال الجرح الذي احدثته نكبة فلسطين يستنزف دماء العرب . أما التراشق والتهاتر بين الحكومات العربية فقد اصبح من الامور المحزنة المألوفة . هذا وان بعض البلاد العربية تحن الى الطمانينة والاستقرار فهي عرضة للانقلابات العسكرية المتكررة . ان ظروفا قاسية كهذه تعيشها الامة العربية لا تسمح بالتفرغ الى الامور الجوهرية في حياة الامة ومنها الاهتمام بمشكلة اللغة العربية . اضف الى هذا كله دعايات اجنبية مغرضة يقوم بها بعض الاجانب من اعداء العروبة والاسلام ممن يدعون الى نشر اللغة العامية كما يحاولون اظهار العربية الفصحى بمظهر اللغة العسيرة المنال غير الملائمة للحياة الجديدة اي انها من اللغات المتحجرة التي يجب ان يترك امرها للباحثين في شؤون اللغات القديمة الميتة .

وفي النواحي المادية يظهر التخلف في عدم استطاعة معظم الدول العربية توفير المال الكافي لنشر الثقافة بين الجماهير وتأسيس المطابع الكافية التي تطبع الكتب الراقية وفتح المكتبات الكثيرة وتزويد الشعب بالمادة الغذائية لارواحهم وافكارهم وعواطفهم باللغة العربية الفصحى المبسطة .

وفي النواحي الثقافية يظهر التخلف في عدم تعمقنا في درس حضارتنا وعدم معرفة لغتنا وما تحويه من كنوز فكرية وادبية وعدم تذوقنا بجمال البيان العربي.

وفي النواحي الفكرية والروحية يظهر التخلف في عدم اتفاقنا على فلسفة قومية واضحة تجمع الشمل وتسير بنا نحو الاهداف الانسانية العليا فلسفة مؤسسة على الايمان بالله والاخذ بأساليب العلم والديمقراطية في الحياة . فبعضنا يدعو الى العلمانية والبعض يقلد هذه العقائدية الغريبة أو تلك تقليدا سطحيا . فما لم تكن لنا جذور ثابتة في تربة أوطاننا وحضارتنا وايماننا فسنبقى كريشة في مهب الريح ومن كان هذا شأنه فقد لا يهمه ان تكلم بالعربية أو بغيرها من اللغات .

أما انتشار اللغة العربية في العالم فيتطلب من الشعوب العربية ودولها ان تسلك **سلوكا ايجابيا جذابا في معاملة الشعوب غير العربية** مع كثرة الاتصال بها وتأسيس العلاقات الطيبة معها . اما الشوفينية القومية وأما سياسة العنف والاستعلاء فانها مما تنفر الشعوب الاخرى من العروبة والاسلام. ثم ان على الدول العربية والاسلامية ان تبذل بسخاء في سبيل نشر العربية وتسهيل تدريسها وتيسير

الكتب والوسائل اللازمة لها ولنا فى فرنسا احسن مثال وقدوة من حيث بذلها بسخاء من اجل نشر لغتها وثقافتها فى الخارج .

2 — يتضح مما قلناه ان كل ما نقوم به فى سبيل القضاء على التخلف فيه خدمة غير مباشرة للغة العربية اما الحلول المباشرة فانجعها فى رايي **اجتماع اولي الفكر واصحاب الاختصاصات العلمية المنوعة فى مؤتمرات** وندوات تعالج فيها قضايا اللغة والمصطلحات فى كل من الاختصاصات ، ونحن نفضل ان تكون الحركة الاصلاحية فى اللغة حركة صاعدة اي ان تصعد من ذوي الفكر والخبرة انفسهم وتنشأ عنهم اكثر منها نازلة من مراجع حكومية عليا تفرض المصطلحات وتمليها املاء على من سيستعملونها . وهذا يتطلب بالطبع جوا من الاستقرار السياسي المؤسس على الروح الدمقراطي مع الحرية الكافية بالحركة والاتصال بين رجال العلم والفكر والادب وايجاد منظمات ثقافية حرة تربط بين ابناء البلاد العربية . وهذا بدوره يتطلب جوا من الصفاء والتفاهم على الاهداف والمعتقدات بين البلاد العربية ، وهذا يتطلب الاسراع بتنقية الجو العربي واحلال الصراحة محل المجاملة والاخاء محل الجفاء .

3 — انه لما يحز فى النفس ويجرح الكرامة القومية ان يوجه الى اي عربي سؤال بهذه الصيغة . وكان الاجدر ان يكون السؤال « هل يصلح العرب للبقاء فى هذا العصر ام هم اجدر بالفناء ؟ » ترى هل سأل الصهيونيون انفسهم ان كانت اللغة العبرية تصلح للتعليم الجامعي يوم اسسوا الجامعة العبرية فى القدس وبدأوا التدريس بالعبرية فيها ؟ وهل سأل البلغار او اليونان او اليابانيون انفسهم مثل هذا السؤال يوم اسسوا جامعاتهم التي بدات تدرس فى لغاتهم ؟ لا شك فى انهم لم يسألوا انفسهم مثل هذا السؤال بل انهم بدأوا بالترجمة والنقل والتاليف واتفقوا على اسلوب وضع المصطلحات . اذن فالسؤال غير وارد مبدئيا .

اما فيما يتعلق باللغة العربية فاستطيع الجواب بكل تأكيد بأن فى وسعها ان تصبح ادق لغة علمية الى جانب كونها لغة روحية وفلسفية وادبية من الطراز الارفع .

مشكلتنا فى العالم العربي اليوم هي ان البعض منا يفهم ان التدريس بالعربية فى المستوى الجامعي معناه الاكتفاء بها وحدها وعدم اتقان لغة اجنبية واحدة او اكثر للاستفادة من المراجع العلمية وهذا خطأ فاحش . وتعت فيه بعض المعاهد العلمية فى المشرق العربي فخرجت طلابا اشباه مثقفين يحملون الشهادات العالية . يقابل هذا التطرف معاهد عربية اخرى منيت بالخوف والحذر مما حل بالمشرق العربي فهي تتجنب العربية ويتجنب بعض الاساتذة العرب فيها من استعمال لغتهم القومية فى التدريس **ان المتخوفين من استعمال اللغة العربية فى التدريس الجامعي يخطئون مثل ما يخطىء اولئك الذين يكتفون باللغة العربية وحدها للتعليم الجامعي** فانهم جميعا يؤخرون سير التعريب ونمو اللغة العربية .

وفى الحقيقة ان اية دراسة جامعية شاملة تتطلب معرفة لغة اجنبية حية واحدة على الاقل الى جانب اللغة الام . ومعرفة الطالب لهذه اللغة يجب ان تكون بدرجة الاتقان بحيث يستطيع ان يقرأ ويكتب ويعرب عن فكرة فيها بطلاقة ودقة ، اذا تحقق ذلك فما الذي يمنع الاستاذ العربي من أن يدرس فى الجامعة بلغته القومية مستعينا بما يحتاج اليه من المصادر والمراجع باللغة الاجنبية ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن المفاهيم فى اي من العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والقانون والتاريخ والجغرافية والاجتماع والنفس والتربية والتعليم والادب العربي ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن مفاهيم الرياضيات كالحساب والهندسة والجبر ؟ وهلا يمكن تدريس العلوم الاخرى ايضا وشرحها باللغة العربية حتى يحين انجاز المصطلحات فى العلوم الطبيعية والتقنية ؟ لا شك فى ان معرفة المصطلحات العلمية بصيغتها الدولية ضروري حتى ولو كان الاستاذ يحسن العربية ويستعمل المصطلحات العربية . اما اذا كان الاستاذ اجنبيا فلا ضير فى ان يدرس بلغته الاجنبية فنحن فى حاجة الى الاساتذة الاجانب فى هذه المرحلة من نهضتنا .

هذا وان معرفة اللغة الاجنبية والدرس فيها من الامور المتعارفة لدى كل الامم الحية الراقية اليوم . فالافرنسي يقرأ ما انتجه زميله الامريكي او الالماني او الانكليزي ، والانكليزي يقرأ ما انتجه زميله الافرنسي او الالماني او الروسي . **وان الاتصال الثقافي بين الامم والشعوب يتطلب اتقان لغة اجنبية ولكن ذلك يجب ان يكون الى جانب اللغة القومية ومغذيا لها وليس على حساب اللغة القومية ومحلها .**

نحن مقتنعون ومؤمنون **بامكانية اللغة العربية أن تستوعب كل العلوم والفنون الحديثة** وان تهضم كل ما يستجد من افكار ومخترعات، ولذلك فليس

السؤال عن صلاح العربية للتدريس الجامعي بذي موضوع .

4 — ان المشاكل التي تعترض اللغة العربية في التدريس الجامعي تتلخص في نظرنا في « شدة الحذر » أو « الجهل بالعربية » أو « الشعور بالتبعية الثقافية » لجهة اجنبية لدى بعض العرب الذين لا يستعملون لغتهم القومية في التدريس .

لقد اختبرت التدريس في مختلف المستويات التعليمية منذ نحو من خمسين سنة . ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد قبل اربعين سنة لم أجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات من الانكليزية الى العربية ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس والفلسفة الاخلاقية في دار المعلمين العالية قبل ثلاثين عاما لم أجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات التربوية والفلسفية الى العربية . فما نحتاجه في عالمنا العربي هو أن ينشأ بيننا اساتذة في المعاهد العالية يغارون على لغتهم العربية ويعتزون بها ذلك الى جانب بروزهم في المادة العلمية . ولا يعني ذلك كما اسلفت تساهلهم في الرجوع الى المصادر العلمية باللغات الاجنبية وحمل الطلاب على درسها واستيعابها الى جانب استعمالهم اللغة العربية .

5 — المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية فكيف للعالم العربي أن يتخلص من هذه المشكلة ؟

لقد اشرنا في جوابنا على السؤال الثاني بأننا نفضل الطريقة الصاعدة في اقرار المصطلحات العلمية أي أن يقوم الاساتذة ذوو الاختصاص انفسهم بوضع ما يحتاجون اليه من مصطلحات . أما طريقة ذلك فهي أن يبدأ الاستاذ المختص بالتحري عن اللفظ الذي يحتاج اليه في المصادر قديمهاوحديثها شرقيها وغربيها. فان لم يجد المصطلح المطلوب فليقترح هو ما يراه من مصطلح ويتصل بزملاء له يدرسون المادة ذاتها فيتفق معهم على الكلمة المفضلة للمعنى المطلوب وهذه هي المرحلة الابتدائية الاولى .

أما المرحلة الثانية فهي أن ينتظم أصحاب الاختصاصات في كل بلد عربي في منظمات تجتمع دوريا وتتفق فيما بينها على المصطلحات المفضلة في ذلك البلد العربي ، وتستعمل هذه المصطلحات عند وضع الكتب المدرسية الجديدة .

والمرحلة الثالثة هي أن يجتمع ممثلون عن البلاد العربية المختلفة في شتى الاختصاصات في مؤتمرات دورية ليتفقوا **على قدر المستطاع** على توحيد المصطلحات بين البلاد العربية .

هذا ولا يجوز ان يكون اختلاف الراي حول المصطلحات عائقا للسير في عملية التعريب فعجلة التعريب يجب أن تسير والزمن كفيل ببقاء الاصلح من المصطلحات .

والمهم في نظرنا هو الاعتزاز بلغتنا وادراك انها عنوان شخصيتنا القومية وكرامتنا الانسانية لانها تحوي وتحمل ارواحنا وافكارنا وعواطفنا .

والله على ما نقول شهيد